الأدلة القرآنية على وجود الله في ضوء علم اللاهوت الطبيعي المعاصر

ـ دليل الإحكام والإتقان أنموذجًا ـ

Qur'anic Arguments for the Existence of God in Light of Contemporary Natural Theology: The Argument from Order and Perfection as a Case Study

أحمد جمال الدين عيمر[1]*، محمد لمين إبراقن[2]

[1] جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، ad.aimeur@univ-alger.dz

[2] جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، ml.iberraken@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2026/09/02 تاريخ القبول: 2026/10/26

ملخص:

تتناول هذه الدراسة **دليل الإحكام والإتقان** بوصفه أحد الأدلة العقلية التي قررها القرآن الكريم للاستدلال على وجود الله تعالى وكمال علمه وقدرته وحكمته، وتهدف إلى بيان مفهومه وأصوله القرآنية، وتحديد موقعه ضمن منظومة الأدلة على وجود الله، مع بيان توظيف علماء المسلمين له، ثم دراسة صوره المعاصرة في علم اللاهوت الطبيعي، ولا سيما حجج التصميم الذكي والضبط الدقيق والتعقيد والمعلومات البيولوجية. واعتمدت الدراسة **المنهج التحليلي والمقارن** .وخلصت إلى أن القرآن يقرر الدليل من خلال إثبات الإتقان ونفي التفاوت والخلل، وأن دلالته العقدية تتكامل مع وجوه عقلية كالإمكان والافتقار والاختصاص، فلا تقف عند إثبات مجرد مصمم ذكي. كما تبين أن التفسيرات الطبيعية لا تنقض أصل الدليل القرآني، وأن بعض حجج التصميم الذكي تجعل التصميم في مواجهة التفسير الطبيعي، بخلاف التصور القرآني الذي يجعل الأسباب والقوانين نفسها داخلة في نظام الخلق والتدبير الإلهي. ويتمايز ذلك أيضًا عن التصور الربوبي الذي يفصل بين الخلق والتدبير المستمر.

كلمات مفتاحية: دليل الإحكام والإتقان، الأدلة القرآنية، وجود الله، اللاهوت الطبيعي، التصميم الذكي، الضبط الدقيق، التصور الربوبي.

Abstract:
This study examines the **Argument from Order and Perfection** as a Qur'anic rational argument for God's existence and the perfection of His knowledge, power, and wisdom. It aims to clarify its concept and Qur'anic foundations, its place among arguments for God's existence, its use by Muslim scholars, and its contemporary formulations in **Natural Theology**, particularly Intelligent Design, fine-tuning, biological complexity, and biological information. The study adopts an **analytical and comparative approach**. It concludes that the Qur'an establishes this argument by affirming perfection and precision and negating disparity and defect. Its theological significance extends beyond proving an intelligent designer through considerations such as contingency, dependence, and specification. The study also shows that natural explanations do not undermine the Qur'anic argument, since natural causes and laws belong to the created order and remain dependent on God. This distinguishes the Qur'anic framework from some Intelligent Design arguments and from **Deism**, which separates creation from God's continuing governance.
Keywords: Argument from Order and Perfection; Qur'anic Arguments; Existence of God; Natural Theology; Intelligent Design; Fine-Tuning; Deism.

---

* أحمد جمال الدين عيمر

1. مقدمة

يقرّر القرآن الكريم جملة من الأدلة العقلية على وجود الله تعالى، ويجعل النظر في الآيات الكونية ومظاهر الخلق والإحكام والنظام من المسالك التي تهدي العقل إلى الإقرار بالخالق سبحانه وتعالى. وقد ركز القرآن الكريم على جملة من هذه الأدلة، ولا سيما ما كان أقرب إلى العقول وأوضح في الدلالة، ثم تتابع علماء المسلمين في تفسيرها وتقرير وجوه الاستدلال بها، وتوسيع دلالاتها العقلية والعقدية.

ومن أبرز هذه الأدلة دليل الإحكام والإتقان، الذي يقوم على ملاحظة ما في العالم من إحكام في الصنعة، وانتظام في الأجزاء، وتناسب بين الموجودات، وانتفاء للخلل والتفاوت والاضطراب، ثم الاستدلال بذلك على وجود خالق عليم قدير حكيم. وقد قرر القرآن هذا المعنى في آيات متعددة، من أبرزها قوله

تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88]، وقوله تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 3-4]. وقد أظهرت المادة التفسيرية التي جُمعت في هذا البحث أن السلف قرروا دلالة الآيتين بطريقين متكاملين؛ فآية النمل تثبت كمال الإتقان، بينما تنفي آية الملك نقيضه من التفاوت والخلل، وباجتماعهما تتأكد دلالة الإحكام والإتقان على كمال الخلق والخالق.

وفي العصر الحديث برز علم **اللاهوت الطبيعي** (**Natural Theology**) بوصفه مجالًا فلسفيًا يعنى بإثبات وجود الله وصفاته اعتمادًا على العقل وما تقدمه العلوم من معطيات. وقد أعاد عدد من الباحثين والفلاسفة المعاصرين صياغة بعض الحجج المتعلقة بالإحكام والنظام في صور جديدة، من أبرزها حجة التصميم الذكي، وحجة الضبط الدقيق للكون، والاستدلال بالتعقيد البيولوجي والمعلومات البيولوجية. ويثير ذلك سؤالًا عن مدى التقارب بين هذه الصياغات المعاصرة وبين الدليل القرآني من جهة، ومدى إضافتها إلى بنيته الاستدلالية من جهة أخرى.

وقد كشفت المادة الحالية للدراسة أن هذه المعطيات المعاصرة تقدم صورًا تفصيلية للإحكام يمكن أن تدعم ملاحظة المقدمة الصغرى في الدليل، ولا سيما ما يتعلق بالضبط الدقيق للكون والتعقيد البيولوجي والمعلومات المشفرة في الحمض النووي. إلا أن الاستفادة منها تحتاج إلى تقييم عقدي؛ إذ لا يكفي إثبات وجود تصميم أو مصمم ذكي ـ في بعض صيغ الحجة ـ لإثبات أن المصمم هو الله تعالى، كما أن جعل عجز التفسير الطبيعي عنصرًا لازمًا في الحجة يختلف عن بنية الدليل القرآني التي لا تجعل التفسير الطبيعي مناقضًا للتفسير الإلهي.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لمحاولة الرجوع بدليل الإحكام والإتقان إلى أصله القرآني، ثم النظر في كيفية تقرير علماء المسلمين له، وبعد ذلك دراسة ما أضافه اللاهوت الطبيعي المعاصر من صيغ فلسفية وعلمية، مع تقييم هذه الإضافات في ضوء البناء العقدي للدليل. وهذا هو المنهج نفسه الذي اعتمدناه في دراسة دليل الخلق والإيجاد، حيث يبدأ البحث بالدليل القرآني وفهم علماء المسلمين له، ثم ينتقل إلى اللاهوت الطبيعي المعاصر، وينتهي بالتقييم.

1.1. إشكالية البحث

يمكن صياغة إشكالية البحث في السؤال الرئيس الآتي:

إلى أي مدى أسهم علم اللاهوت الطبيعي المعاصر في تدعيم دليل الإحكام والإتقان القرآني على وجود الله تعالى؟ وهل تمثل حجج التصميم الذكي والضبط الدقيق والتعقيد والمعلومات البيولوجية تطويرًا لهذا الدليل القرآني، أم أنها تختلف عنه في بعض مقدماته ونتائجه؟

ويتفرع عن ذلك عدد من الأسئلة:

1 ـ ما مفهوم دليل الإحكام والإتقان في القرآن الكريم، وما أبرز آياته؟

2 ـ كيف فهم علماء المسلمين هذا الدليل، وكيف وظفوه في إثبات وجود الله تعالى وصفاته؟

3 ـ ما أبرز الصور التي اتخذها دليل الإحكام والإتقان في اللاهوت الطبيعي المعاصر؟

4 ـ هل يتوقف دليل الإحكام والإتقان على نفي التفسيرات الطبيعية، أم يمكن الجمع بين إثبات الأسباب الطبيعية وإثبات افتقارها إلى الله تعالى؟

2.1. أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى:

ـ الكشف عن دلالة آيات الإحكام والإتقان في القرآن الكريم على وجود الله تعالى وكمال صفاته.

ـ بيان طريقة تطور الاستدلال بهذا الدليل لدى علماء التفسير والعقيدة على اختلاف مدارسهم.

ـ النظر في كيفية تدعيم علماء اللاهوت الطبيعي المعاصر لدليل الإحكام والإتقان القرآني من الناحية العمية والبراهين الفلسفية..

3.1. أهمية البحث

تنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى بناء جسر معرفي بين الدليل القرآني على الإحكام والإتقان، وطريقة علماء الإسلام في تقريره، وبين ما انتهى إليه اللاهوت الطبيعي المعاصر من حجج فلسفية وعلمية بما يسهم في إيضاح مدى صلاحية الخطاب القرآني في مخاطبة الإنسان على اختلاف عصوره.

وتتأكد أهمية البحث من جهة أخرى في كونه يتناول واحدة من أبرز الصيغ المعاصرة للاستدلال على وجود الله، وهي حجج التصميم والضبط الدقيق والتعقيد البيولوجي، ثم يعيد النظر فيها من منظور عقدي قرآني، بدل الاكتفاء بعرضها كما صاغها أصحابها.

كما تبرز أهمية الدراسة في بيان أن الاستفادة من العلوم الطبيعية الحديثة في الكشف عن مظاهر الإحكام لا تعني بالضرورة تحويل الدليل القرآني إلى حجة علمية معاصرة؛ إذ إن البناء القرآني أوسع من مجرد اكتشاف ظاهرة جديدة، ويمكن أن يستوعب تفسير الظواهر بأسبابها الطبيعية مع بقاء دلالتها على افتقارها إلى خالقها سبحانه وتعالى.

4.1. منهج البحث

اعتمد البحث المنهج التحليلي والمقارن؛ وذلك من خلال تحليل دليل الإحكام والإتقان في القرآن الكريم، وبيان فهم علماء المسلمين للآيات المتعلقة به، ثم عرض الصياغات التي قدمها علماء اللاهوت الطبيعي المعاصر لهذا الدليل، ثم مقارنتها بالبنية القرآنية للدليل وتقييم ما قدمته من إضافات.

ويبدأ البحث بالنظر في الدليل القرآني وفهم علماء المسلمين له، مع الاستفادة من تفسيرات السلف، ثم عرض توظيف المدارس العقدية له، ثم الانتقال إلى عرض آراء علماء اللاهوت الطبيعي المعاصر حول دليل الإحكام والإتقان، وأخيرًا تقويم مدى توافق صوره المعاصرة مع البناء القرآني للدليل.

5.1. الدراسات السابقة

كثرت الكتابات في العصر الحديث، ولا سيما مع ظهور موجة الإلحاد الجديد، في أدلة وجود الله تعالى ومناقشة الاعتراضات المثارة حولها، ومن أشهرها: "الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد" لسعود بن عبد العزيز العريفي (1998م)، و"شموع النهار: إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي" لعبد الله العجيري (2016م)، و"الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة" لسعيد فودة (2016م)، و"براهين وجود الله في العقل والنفس والعلم" لسامي عامري (2018م)، وغيرها من الدراسات التي تناولت أدلة وجود الله تعالى من جوانب متعددة.

وقد تطرقت بعض هذه الدراسات إلى دليل الإحكام والإتقان أو إلى بعض وجوهه ضمن حديثها عن أدلة وجود الله؛ فمنها ما عرض بعض وجوهه في سياق دراسة الأدلة العقلية الواردة في نصوص الوحي، ومنها ما عرض بعض وجوهه في سياق البراهين العقلية التي قررها المتقدمون من علماء الكلام، ومنها ما استفاد من المعطيات العلمية الحديثة المتعلقة بالنظام والتعقيد والضبط الدقيق في الكون والحياة، ومنها ما تناول حجج التصميم في إطار اللاهوت الطبيعي المعاصر، دون أن يكون المقصود ـ في الغالب ـ إعادة بناء هذا الدليل في ضوء صيغته القرآنية ومقدماته ووجوه دلالته الخاصة.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتتناول دليل الإحكام والإتقان في القرآن الكريم، من خلال الرجوع إلى أصوله القرآنية، والكشف عن صيغته الاستدلالية ومفهومه العام، وبيان ما يتضمنه من وجوه الإحكام والعناية والتقدير والتسخير والتدبير والتخصيص، ثم النظر في تقريرات علماء المسلمين له، ومقارنتها بما ظهر في اللاهوت الطبيعي المعاصر من حجج التصميم والضبط الدقيق والتعقيد في الكون والحياة.

وتتميز هذه الدراسة ـ في حدود ما وقف عليه الباحث ـ بمحاولة الجمع بين التأصيل القرآني للدليل، ودراسة امتداداته في التراث العقدي الإسلامي، ومقارنته بصياغاته المعاصرة، مع تجنب اختزاله في الصياغة الكلامية المتقدمة أو في حجج التصميم المعاصرة، والنظر إليه بوصفه دليلًا قرآنيًا تتكامل في دلالته مظاهر الإحكام والإتقان في الخلق.

6.1. خطة البحث

ستقسم الدراسة ـ بعد المقدمة ـ إلى مبحث تمهيدي ومبحثين رئيسيين على النحو الآتي:

المبحث التمهيدي: الأدلة القرآنية على وجود الله وعلم اللاهوت الطبيعي المعاصر: المفهوم والمنهج.

المبحث الأول: دليل الإحكام والإتقان في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دليل الإحكام والإتقان في ضوء علم اللاهوت الطبيعي المعاصر.

ثم الخاتمة وأهم النتائج والاقتراحات ذات الصلة.

2. الأدلة القرآنية على وجود الله وعلم اللاهوت الطبيعي المعاصر: المفهوم والمنهج

يتناول هذا المبحث الإطار المفاهيمي والمنهجي الذي ينتظم فيه دليل الإحكام والإتقان، وذلك من

خلال قسمين متكاملين: يتناول الأول الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى، من حيث مفهومها ومنهجها، مع تحديد موقع دليل الإحكام والإتقان ضمنها وبيان المراد به في هذا البحث؛ ويتناول الثاني علم اللاهوت الطبيعي المعاصر، من حيث مفهومه ومناهجه، مع بيان أبرز الصياغات المعاصرة ذات الصلة بالاستدلال من النظام والتعقيد والضبط الدقيق في الكون والحياة.

1.2. الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى: المفهوم والمنهج

يبدأ البحث في دليل الإحكام والإتقان من النظر في موضعه ضمن الاستدلال القرآني على وجود الله تعالى؛ ذلك أن تحديد مفهوم الدليل ومنهجه لا يستقيم بمعزل عن الإطار العام الذي جاءت فيه الأدلة القرآنية. ولذلك يُمهَّد لذلك ببيان المقصود بالأدلة القرآنية على وجود الله تعالى، وأبرز المسالك التي سلكها القرآن في توجيه النظر إلى آياته الدالة على خالقها.

1.1.2. مفهوم الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى

تتعدد الأدلة التي أرشد القرآن الكريم إلى النظر فيها لإثبات وجود الله تعالى، ولا تنحصر في صورة واحدة من صور الاستدلال؛ وهو ما نبه إليه ابن جُزَي الغرناطي (ت 741هـ) بقوله: "إن الأدلة على وجوده سبحانه أكثر من أن يحصى عددها أو يبلغ أمدها، فإن كل شيء دليل عليه ومرشد إليه"[1]، ثم لخّص مسالك الاستدلال في ثلاثة: الاستدلال بما نصبه الله من الآيات في أنواع الموجودات، والاستدلال بأخبار الأنبياء، والاستدلال بما تشهد به الفطرة السليمة. ويأتي في مقدمة هذه المسالك النظر في الموجودات وما فيها من آثار الخلق والصنعة والإحكام والتدبير.

ويتقارب مع هذا التصور ما قرره ابن رشد الحفيد (ت 595هـ) في استقرائه لطرق القرآن في الدلالة على وجود الصانع؛ إذ ردّها إلى جنسين رئيسين: «دليل العناية» و«دليل الاختراع». فالأول يقوم على النظر في موافقة الموجودات للإنسان وما فيها من وجوه الحكمة والمصلحة والتدبير، والثاني يقوم على النظر في اختراع الموجودات وما يظهر فيها من الإيجاد والإبداع. غير أن ابن رشد، بعد تقرير هذين الطريقين، لم يغفل عن أصل فطري تستند إليه دلالتهما، بل قرر أن هذه الطريق "هي الصراط المستقيم التي دعا الله الناس

(1) ابن جزي، النور المبين في قواعد عقائد الدين، 1436هـ ـ 2015م، (ص25)، وانظر المسالك الثلاثة فيه (ص25 ـ 38).

منها إلى معرفة وجوده"، وأن الله "نبّههم على ذلك بما جعل في فطرهم من إدراك هذا المعنى"، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**...﴾ [الأعراف: 172][2]. ومن ثمّ فالفطرة عند ابن رشد ليست جنسًا ثالثًا يضاف إلى العناية والاختراع، وإنما هي الأصل الفطري الذي به يدرك الإنسان دلالة هذين الطريقين.

ويكشف الجمع بين تقرير ابن رشد وابن جُزَي أن مفهوم الأدلة القرآنية على وجود الله أوسع من الاقتصار على برهان عقلي اصطلاحي واحد؛ فهي مسالك متنوعة تتوجه إلى العقل والحس والفطرة، وتستثمر ما في الموجودات من خلق واختراع وعناية وإحكام وتدبير، كما تستند إلى ما جاءت به الرسل من البينات. وإذا كان ابن رشد قد أبرز من حيث البناء الاستدلالي جنسي العناية والاختراع، فإن ابن جُزَي أبرز إلى جانبهما مسلك أخبار الأنبياء والفطرة، مع إشارته إلى أن الأدلة لا يمكن استقصاؤها؛ لأن كل شيء ـ من حيث دلالته على خالقه ـ يمكن أن يكون آيةً ومرشدًا إليه

وبناء على ذلك؛ فإن دليل الإحكام والإتقان الذي يتناوله هذا البحث لا يمثل دليلًا منفصلًا عن البناء القرآني العام، وإنما هو وجه من وجوه الاستدلال بالموجودات، يتصل بدليل الاختراع من جهة ما يكشف عنه إحكام الصنعة وإتقانها من فعل الخالق، ويتصل بدليل العناية من جهة ما يظهر في الموجودات من التناسب والحكمة والتدبير؛ ومن ثم فهو أحد التطبيقات البارزة للمنهج القرآني في الاستدلال على وجود الله تعالى.

2.1.2. مفهوم دليل الإحكام والإتقان

الإحكام والإتقان في أصل دلالتهما يدوران على الإبرام والإحسان وإكمال الشيء على الوجه الذي لا خلل فيه، ومن ثمّ فإن وصف الخلق بالإحكام والإتقان يتضمن كونه واقعًا على وجه من التناسب والانتظام والكمال، بحيث لا يظهر فيه ما يناقض مقتضى الحكمة من الخلل والاضطراب والتفاوت المفسد.

وبناءً على ذلك، يمكن تعريف دليل الإحكام والإتقان بأنه:

---

(2) ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملّة، 1998م، (ص118 ـ 121).

الاستدلال بما في الموجودات من إحكام الصنعة، وانتظامها وترابطها، وتناسب أجزائها، وانتفاء الخلل والتفاوت عنها، على وجود خالق عليم قدير حكيم.

وهذا التعريف يجمع العناصر الأساسية التي يقوم عليها الدليل؛ فالمقدمة المشاهدة هي ما في الموجودات من إحكام وإتقان وانتظام وتناسب، والنتيجة التي يفضي إليها النظر في ذلك هي إثبات فاعل عالم قادر حكيم، بما يكشف عنه إحكام الخلق من دلالة على علم الخالق وقدرته وحكمته.

ولا يراد بالإحكام والإتقان هنا مجرد إحكام أجزاء الموجودات وإتقان صنعتها، وإنما يراد به مفهوم عام يشمل ما في الخلق من عناية وتقدير وتسخير وتدبير وتخصيص، باعتبارها جميعًا من وجوه إحكام الخلق وإتقانه. ومن ثم فإن الدليل يتناول ما يظهر في الموجودات من وجوه النظام والتناسب والترابط والاختصاص، على اختلاف صورها ومجالاتها.

3.1.2. منهج الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى

لا يقوم المنهج القرآني في الاستدلال على وجود الله تعالى على مجرد عرض مقدمات نظرية مجردة، وإنما يخاطب العقل من خلال المشاهد المحسوسة والقضايا العقلية الواضحة وما تقتضيه الفطرة السليمة. ويظهر هذا المنهج بوضوح في دليل الإحكام والإتقان؛ فالقرآن لا يطالب الإنسان ابتداءً بقبول مقدمة فلسفية مجردة، وإنما يوجهه إلى النظر في الخلق نفسه، وإلى ملاحظة ما فيه من إحكام وانتظام، ثم يرشده إلى ما يقتضيه ذلك من العلم بفاعله وخالقه. ومن هنا يتسم الدليل بالقرب من المشاهدة، وقوة الإلزام، واتساع دائرة المخاطبين به.

كما أن المنهج القرآني لا يجعل إثبات وجود الله تعالى غاية نظرية منفصلة عن مقتضيات التوحيد؛ بل ينتقل من إثبات الخالق وربوبيته إلى تقرير كمال صفاته واستحقاقه وحده للعبادة. وهذه الخاصية مهمة في دراسة دليل الإحكام؛ لأن الإتقان لا ينتهي عند إثبات «مصمم» أو «فاعل»، وإنما يكشف ـ عند ضمّ سائر وجوه الدلالة ـ عن علم الخالق وقدرته وحكمته وتدبيره.

2.2. علم اللاهوت الطبيعي المعاصر: المفهوم والمنهج

ينتقل البحث بعد بيان الإطار القرآني لدليل الإحكام والإتقان إلى النظر في المقابل المعاصر له في مجال اللاهوت الطبيعي، وذلك للتعريف بهذا الاتجاه وبيان الأسس والمناهج التي تقوم عليها حججه المتعلقة بوجود الله، تمهيدًا لفهم صيغ الاستدلال المعاصرة من النظام والتعقيد والضبط الدقيق.

1.2.2. مفهوم اللاهوت الطبيعي

يقصد بعلم اللاهوت الطبيعي **Natural Theology** ذلك الاتجاه في فلسفة الدين الذي يسعى إلى بحث وجود الله وبعض

صفاته اعتمادًا على الوسائل المعرفية الطبيعية للإنسان، ولا سيما العقل والاستدلال وما توفره الخبرة والملاحظة والمعارف المتعلقة بالعالم، دون جعل الوحي الإلهي مصدرًا أوليًا للحجة.

ويختلف هذا المنهج من حيث مصدر المعرفة عن اللاهوت القائم على الوحي؛ إذ إن اللاهوت الطبيعي يحاول إقامة الحجج المتعلقة بوجود الله من خلال النظر في العالم والإنسان وما يمكن للعقل أن يستخلصه منهما، في حين يستند اللاهوت القائم على الوحي إلى النصوص المقدسة.

وقد شهد اللاهوت الطبيعي في العصر الحديث والمعاصر إعادة إحياء لعدد من البراهين التقليدية، إلى جانب ظهور صيغ جديدة استفادت من التطورات في علوم الكونيات والفيزياء والأحياء وغيرها، ومن أبرز المجالات التي ظهرت فيها هذه العودة :الحجج الكونية، وحجج التصميم، وحجة الضبط الدقيق، والاستدلال بالتعقيد والمعلومات البيولوجية.

وهذا التطور هو الذي يجعل دراسة دليل الإحكام والإتقان في ضوء اللاهوت الطبيعي المعاصر ذات أهمية؛ لأن مظاهر الإحكام التي كان الإنسان يلاحظها قديمًا في نظام العالم وأجزائه أصبحت في العصر الحديث موضوعًا لدراسات دقيقة في الفيزياء والكونيات والأحياء، وأعيدت صياغة الاستدلال بها في لغة فلسفية وعلمية جديدة.

2.2.2. منهج اللاهوت الطبيعي المعاصر

يستفيد اللاهوت الطبيعي المعاصر من عدد من المناهج والأدوات الاستدلالية في بحث مسألة وجود الله، ومن أبرزها الاستدلال الاستنباطي، والاستدلال الاستقرائي، ومنطق الموجهات، والاستدلال بأفضل

تفسير، والاستدلال الاحتمالي، إلى جانب الإفادة من نتائج العلوم الطبيعية في بناء المقدمات التي تقوم عليها الحجج المعاصرة.

ويهمنا من هذه المناهج بصورة خاصة الاستدلال بأفضل تفسير؛ إذ يظهر أثره في عدد من صيغ الاستدلال المعاصر من الإحكام والتعقيد. وتنطلق هذه الطريقة من ملاحظة ظاهرة تحتاج إلى تفسير، ثم مقارنة التفسيرات الممكنة لها، واختيار التفسير الذي يُنظر إليه على أنه الأكثر قدرة على تفسير المعطيات. كما تستفيد بعض الصيغ المعاصرة من الاستدلال الاحتمالي والنماذج الرياضية في مناقشة الضبط الدقيق للكون، من خلال النظر في مدى توافق المعطيات الكونية مع الفرضيات التفسيرية المختلفة.

وفي هذا الإطار ظهرت صور متعددة لحجج التصميم؛ فمنها ما يركز على التصميم الكوني والضبط الدقيق، ومنها ما يتجه إلى التعقيد البيولوجي، ومنها ما يستند إلى المعلومات البيولوجية .وعلى الرغم من اختلاف هذه الصيغ في مقدماتها وطرائق بنائها، فإنها تلتقي في الاستدلال بما يظهر في الكون والحياة من نظام وتعقيد وانتظام على وجود قصد وتصميم، أو في القول بأن فرضية التصميم تقدم تفسيرًا أفضل لبعض هذه الظواهر من بعض التفسيرات الطبيعية المنافسة.

وتتصل هذه الصياغات بموضوع البحث من جهة أن الاستدلال بالإحكام والإتقان يمكن أن يتخذ صورا مختلفة بحسب المقدمات التي ينطلق منها والنتائج التي يقصد إليها، فقد يقتصر على تفسير بعض الظواهر بفرضية التصميم، وقد يُضم إلى مقدمات عقلية أخرى تفضي إلى إثبات الخالق سبحانه وتعالى. كما يختلف وجه العلاقة بين التفسير الطبيعي والتفسير الإلهي باختلاف التصور الذي تقوم عليه الحجة؛ فقد يُنظر إليهما على أنهما تفسيران متنافسان، وقد يُنظر إلى الأسباب الطبيعية نفسها باعتبارها جزءًا من النظام الذي يستدل بإحكامه وانتظامه على خالقه.

ومن هنا تأتي أهمية النظر في الصياغات المعاصرة لدليل التصميم عند دراستها في ضوء دليل الإحكام والإتقان في القرآن الكريم، للوقوف على مدى اتفاقهما في أصل الاستدلال، وما يختص به التصور القرآني من سعة في مدلول الإحكام والإتقان وفي النتائج العقدية المترتبة عليه.

3. دليل الإتقان في القرآن الكريم

بعد أن تبيّن في المبحث التمهيدي مفهوم دليل الإحكام والإتقان وموقعه ضمن الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى، يتجه البحث هنا إلى تتبع أبرز صوره في القرآن الكريم، من خلال الآيات التي تلفت النظر إلى إحكام الخلق وانتظامه، أو تنفي عنه ما ينافي ذلك من تفاوت وخلل. والمقصود بذلك إبراز البنية التي أقام القرآن عليها هذا الدليل، دون استقصاء جميع الآيات التي يمكن أن تندرج في معناه.

وقد جاء تقرير هذا المعنى في القرآن الكريم بصيغ متعددة، يظهر بعضها في التصريح بالإتقان وكمال الصنعة، وبعضها في نفي التفاوت والخلل، وبعضها في توجيه النظر إلى الخلق والتأمل في وجوه إحكامه وانتظامه. ويأتي هذا التنوع في التعبير القرآني ليقرر الدلالة من جهات متكاملة، من غير أن تنحصر في صورة واحدة من صور الإحكام.

ومن بين هذه الآيات يبرز موضعان يجتمع فيهما أصل الدلالة ووضوحها، وهما قوله تعالى :﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النمل: 88]، وقوله تعالى :﴿**مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ [الملك: 3-4]. فآية النمل تثبت الإتقان في الخلق تصريحًا، بينما تنفي آيتا الملك التفاوت والخلل عنه، ويكشف الجمع بينهما عن وجه متكامل من وجوه الدلالة القرآنية على إحكام الخلق وإتقانه.

ويبدأ البحث بعد ذلك ببيان دلالة هذه الآيات في تفاسير السلف، ثم بما قرره علماء العقيدة في الاستدلال بها على وجود الله تعالى وكمال علمه وقدرته وحكمته.

1.3. البناء الاستدلالي للآيات في تفسير السلف

تكشف أقوال السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل: 88]، وقوله تعالى: ﴿**مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ**﴾ [الملك: 3] عن تكامل الدلالة القرآنية في تقرير دليل الإتقان، إذ اتفقت عباراتهم على إثبات كمال الصنعة الإلهية، وتنزيهها عن كل نقص، مع إبراز كل آية جانبًا خاصًا من هذا الدليل.

ففي آية النمل؛ فسّر ابن عباس رضي الله عنهما الإتقان بقوله: "أحكم كل شيء"[3]، وفي رواية:

(3) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 1422هـ ـ 2001م، (138/18).

"أحسن كل شيء خلقه وأوثقه"[4]، وفسّره مجاهد بقوله: "أتْرَص كل شيء وسوّى"[5]، وفي رواية: "أبرم كل شيء"[6]، كما فسّره الحسن البصري، وعطاء الخراساني، وسفيان الثوري[7]، ومقاتل بن سليمان[8] ويحيى بن سلام[9] بالإحكام، بينما فسّره قتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بإحسان الخلق[10]، وأشار الحسن إلى ثمرة هذا الإتقان بقوله: "هدى كل شيء لمنفعته"[11].

ولذلك خلص الطبري إلى أن معنى الآية: "أوثق خلقه"[12]، وهو الجامع لأقوال السلف. وتدل هذه التفسيرات على أن آية النمل تقرر الإتقان بطريق الإثبات المباشر؛ إذ تصف صنع الله بأنه متقن في ذاته، جامعٌ للإحكام والإحسان والتسوية والتدبير.

أما في آية الملك؛ فقد اتجهت أقوال السلف إلى بيان الإتقان من جهة أخرى؛ ففسّر ابن عباس التفاوت بأنه ما يفوت بعض الخلق بعضا[13]، وفسّره أيضا بالتشقّق[14]، وفسّره قتادة بالاختلاف[15]، بينما

---

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر نفسه.

(6) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 1417هـ ـ 1997م، (2934/9).

(7) المصدر السابق (2933/9).

(8) مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان، 1423هـ ـ 2002م، (318/3).

(9) يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، 1425هـ ـ 2004م، (572/2).

(10) الطبري، مرجع سابق، (139/18).

(11) ابن أبي حاتم، مرجع سابق، (2934/9).

(12) الطبري، مرجع سابق، (138/18).

(13) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 1424هـ ـ 2003م، (607/14).

(14) ابن أبي حاتم، مرجع سابق، (3363/10).

(15) عبد الرزاق الصنعاني، تفسير القرآن العظيم، 1410هـ ـ 1989م، (304/2).

اتّفقوا في تفسير الفطور على أنه الشقوق[16]، أو الخلل[17]، أو العيب[18]، أو الوُهِيّ[19]، أو الفروج[20]، وهي ألفاظ متقاربة تدل على انتفاء كل نقص في الخلق. ولذلك قال الطبري: "ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق؛ لا في سماء، ولا في أرض، ولا في غير ذلك من اختلاف"[21].

كما أن الأمر بتكرار النظر في قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ ثمّ ﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك:4] يمثّل دعوة إلى الاختبار والتأمّل؛ ليقف الناظر بنفسه على سلامة خلق السماوات وغيرها، ويعود إليه بصره "كالا منقطعا، لا يرى فيها عيبا ولا فطورا"[22].

ومن خلال هذه الأقوال يظهر أن السلف بيّنوا الإتقان بطريقين متكاملين:

فأما آية النمل؛ فقد أثبتت كمال الإتقان تصريحًا، ودارت ألفاظهم فيها حول الإحكام، والإبرام، والإتقان، والإحسان، والتسوية، والتدبير.

وأما آية الملك؛ فقد قرّرت المعنى نفسه بطريق نفي أضداده، فجاءت تفسيراتهم دائرة حول نفي التفاوت، والاختلاف، والتشقق، والخلل، والعيب، والوهي، مع دعوة القرآن إلى تكرار النظر في الكون للتحقق من ذلك.

وبهذا تتكامل دلالة الآيتين؛ فالأولى تثبت كمال الصنعة، والأخرى تنفي عنها كل ما يناقض هذا الكمال، فتتأسس منهما قاعدة قرآنية راسخة في تقرير دليل الإتقان، وهي القاعدة التي وسع علماء العقيدة بناءها في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه، وعلى أن هذا الإحكام البالغ شاهد على كمال علم الله وقدرته وحكمته.

---

(16) روي عن سفيان الثوري، الطبري، مرجع سابق، (121/23).

(17) روي عن قتادة، الطبري، مرجع سابق، (120/23، 121).

(18) عزاه الثعلبي إلى عطية بن سعد العوفي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 1436هـ ـ 2015م، (95/27).

(19) روي عن ابن عباس، الطبري، مرجع سابق، (120/23)، والوُهِيّ جمع وَهْي: وهو الشق في الشيء، انظر ابن منظور، لسان العرب، د.س (اختصار دون سنة طبع)، (ج54/ص4936).

(20) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، (389/4).

(21) الطبري، مرجع سابق، (119/23).

(22) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، (389/4 ـ 390).

2.3. توظيف أهل الحديث لآيتي الإتقان في تقرير وجود الله تعالى.

اعتمد علماء أهل الحديث على آية سورة الملك: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾، وآية سورة النمل: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ في تقرير دليل الإتقان، وعدّوهما من أوضح الآيات الدالة على كمال الخلق وإحكام الصنع، ومن ثمّ على وجود الخالق سبحانه وكمال صفاته.

فقد فسّروا الإتقان في آية النمل بالإحكام والإحسان والإيثاق، كما قال مكي بن أبي طالب (ت437هـ): "أحكمه وأوثقه"[23]، وقال السمعاني (ت489هـ): "أحكم كل شيء"[24]، وأضاف ابن كثير (ت774هـ) أن الله "أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع"[25]، فجعل الإتقان شاملًا لإحكام الخلق وإيداع الحكم والمصالح فيه.

أما آية الملك؛ فقد أبرز مفسرو أهل الحديث منها جانبًا آخر من البرهان؛ وهو انتفاء الخلل والتفاوت عن الخلق؛ ففسّر مكي بن أبي طالب قوله تعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ بقوله: "كله محكم، دال على قادر بارئ حكيم في تدبيره ولطفه"[26]، وفسّر السمعاني التفاوت بأنه خلل وعيب أو اضطراب وتباين[27]، وقرّر البغوي (ت516هـ) أن خلق الله مستقيم مستوٍ، لا اعوجاج فيه ولا اختلاف ولا تناقض[28]، بينما أكد ابن كثير أن الناظر مهما كرّر النظر رجع بصره إليه خاسئًا عن أن يرى عيبا أو خللا[29]. ومن ثمّ؛ فإن الأمر القرآني بتكرار النظر في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**﴾ [الملك:4] ليس لمجرّد التأمل؛ بل لإقامة البرهان العقلي على أن هذا الكون المحكم يمتنع أن يكون صادرًا عن غير خالق عليم حكيم.

---

(23) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 1429هـ ـ 2008م، (5477/8).

(24) السمعاني، تفسير القرآن، 1418هـ ـ 1997م، (118/4).

(25) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1421هـ ـ 2000م، (438/10).

(26) مكي بن أبي طالب، مرجع سابق، (7591/12).

(27) السمعاني، مرجع سابق، (7/6).

(28) البغوي، معالم التنزيل، 1412هـ، (176/8).

(29) ابن كثير، مرجع سابق، (72/14).

وقد بلغ هذا الاستدلال ذروته عند ابن القيم (ت751هـ)، إذ جعل إحكام نظام الكون من أعظم البراهين العقلية على وجود الله وكمال صفاته، فاستعرض وجوه الإتقان في السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، ومسير الشمس والقمر، وتناسق الموجودات، ثم ختم ذلك بآيتي سورة الملك، معتبرًا أنهما خلاصة هذا البرهان القرآني، وقال: "فإن وجدت العقول أوفق من هذا فلتقترحه، أو رأت أحسن منه فلتبده ولتوضحه"، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**...﴾، مبينًا أن تكرار النظر ينتهي بالإنسان إلى اليقين بأن انتفاء التفاوت والخلل عن هذا الكون لا يكون إلا من صنع خالق عليم حكيم[30].

وربط الشنقيطي (ت1393هـ) هذه الآية بآية النمل، وعدّهما من الآيات المتضافرة في تقرير هذا المعنى، فقال: "وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ جاء نحوه في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾"[31] لأن إحكام الصنع وانتفاء الخلل حقيقتان متلازمتان في الاستدلال على كمال الخالق سبحانه.

ويتبيّن من مجموع هذه النقول أن أهل الحديث نظروا إلى آيتي النمل والملك نظرة تكامل؛ فآية النمل تقرر كمال الصنع وإحكامه، وآية الملك تؤكد سلامته من الخلل والتفاوت، مع توجيه الإنسان إلى النظر المتكرر في الخلق لإدراك هذا الإتقان. وقد جعلوا دلالتهما قائمة على ظاهر النص، وربطوا بين التفسير والاستدلال العقدي، باعتبار أن الإتقان المشاهد في الكون يشهد له الحس والعقل، ويدل على كمال علم الله وقدرته وحكمته، ومن ثم على وجوده سبحانه. ولذلك جاء توظيفهم للآيتين قائمًا على التأمل في الخلق وآثار الحكمة فيه، بوصفه مسلكًا قرآنيًا فطريًا في الاستدلال، بعيدًا عن المقدمات الفلسفية المجردة.

3.3. توظيف علماء الأشاعرة لآيتي الإتقان في تقرير وجود الله تعالى.

بعد تأمّل نصوص علماء الأشاعرة يظهر أنهم وظّفوا آيتي النمل والملك في تفاسيرهم في تقرير دليل الإتقان تقريرًا واضحًا، غير أن عنايتهم لم تتجه إلى مجرد الاستدلال بالإحكام على وجود الخالق، بل إلى بيان

---

(30) انظر ابن القيم، الصواعق المرسلة، 1412هـ، (4/1565 ـ 1575).

(31) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.س، (6/490).

أن هذا الإحكام يكشف عن كمال الحكمة والعلم والقدرة أيضا، ولذلك أكثروا من تحليل الألفاظ القرآنية وبيان وجوه الدلالة العقلية الكامنة فيها.

أما آية النمل ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فقد جعلها الأشاعرة أصلًا في إثبات أن ما يظهر في الكون من إحكام ليس أمرًا عارضًا، وإنما هو أثر الحكمة والإتقان الإلهيين. فقد قرر الرازي (ت606هـ) أن الله سبحانه لما ذكر الآيات العظيمة في الكون "جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب"[32]، فربط بين الإتقان وبين الحكمة في الخلق. وأكد البيضاوي (ت685هـ) هذا المعنى بقوله: "أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي"[33]، فجعل الإتقان دالًا على إحكام النظام وبلوغه الغاية المناسبة له. ثم جاء البقاعي (ت885هـ) فربط بين هذا الإحكام وما يقتضيه من كمال صفات الصانع؛ مبينًا أن الإتقان شاهد على العلم والقدرة، وأن "الإتقان نتيجة القدرة، وهي نتيجة العلم"[34]، فجعل انتظام الخلق وإحكام نظامه برهانًا على إحاطة علم الله وخبرته، وهو ما ناسب ختم السياق بقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾. كما أشار معين الدين الإيجي (ت905هـ) إلى أن الله تعالى "أودع فيه من الحكم ما أودع"[35]، وهو تعبير يبرز أن الموجودات ليست متقنة في بنيتها فحسب، بل مشحونة بالحِكَم والغايات. وعلى هذا المعنى جرى الماوردي (ت450هـ)[36] وابن عطية (ت546هـ)[37] والقرطبي (ت671هـ)[38] والخازن (ت725هـ)[39]، حيث فسّروا الإتقان بالإحكام والإحسان والإيثاق، مع اختلاف يسير في العبارات دون اختلاف في أصل الدلالة.

---

(32) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 1401هـ ـ 1981م، (220/24).

(33) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1421هـ ـ 2000م، (576/20).

(34) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.س، (224/14).

(35) معين الدين الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، 1424هـ ـ 2004م، (233/3).

(36) الماوردي، النكت والعيون، د.س، (231/4).

(37) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 1422هـ ـ 2001م، (273/4).

(38) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1427هـ ـ 2006م، (222/16).

(39) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 1425هـ ـ 2004م، (355/3).

وأما آية الملك ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ فقد أبرزوا أن نفي التفاوت والفطور إنما هو تقرير لكمال النظام الكوني، ودعوة إلى التأمل المتكرر حتى يترسخ اليقين بالمشاهدة والتأمل. ومن أقدم من استثمرها الباقلاني (ت403هـ)، إذ احتج بها على إحكام خلق السماوات، مبينًا أن قوله تعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ إنما هو إخبار "عن إتقان فعلها وعجيب صنعها"[40]. ثم وسَّع الرازي (ت606هـ) دائرة الاستدلال، فقرر أن هذا الإحكام لا يدل على مجرد حسن الصنع، بل يكشف عن كمال علم الصانع، فقال: "وجه الاستدلال بهذا على كمال علم الله تعالى هو أن الحس دلّ أن هذه السماوات السبع أجسام مخلوقة على وجه الإحكام والإتقان، وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد أن يكون عالما"[41]. وأبرز البيضاوي (ت685هـ) المنهج القرآني في ترسيخ هذه الحقيقة، فبيّن أن الأمر بإعادة النظر إنما هو "لتعاين ما أخبرت به من تناسبها، واستقامتها، واستجماعها ما ينبغي لها"، حتى يرجع البصر "بعيدًا عن إصابة المطلوب"[42] بعد أن يعجز عن العثور على خلل أو فطور.

وسار على هذا الاتجاه الماوردي (ت450هـ)[43]، وابن الجوزي (ت597هـ)[44]، وابن جزي (ت741هـ)[45]، وأبو حيان (ت745هـ)[46] وغيرهم، ففسّروا التفاوت بعدم التناسب والاختلاف، والفطور بالشقوق والخلل، وجعلوا الأمر بتكرار النظر وسيلة لإظهار كمال الإحكام، حتى ينتهي المتأمل إلى الإقرار بأن هذا النظام البديع منزَّه عن النقص والاضطراب.

ويتبين من مجموع هذه النصوص أن علماء الأشاعرة قرؤوا الآيتين بوصفهما برهانًا قرآنيًا على الإحكام الكوني؛ فآية النمل أبرزت إتقان الصنع وربطه بالحكمة والإحسان، وآية الملك أبرزت انتفاء التفاوت والخلل

---

(40) الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، 1957م، (ص313).

(41) الرازي، مرجع سابق، (58/30).

(42) البيضاوي، مرجع سابق، (425/29).

(43) الماوردي، مرجع سابق، (51/6).

(44) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 1423هـ ـ 2002م، (ص1456).

(45) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، 1439هـ ـ 2018م، (438/4)

(46) أبو حيان، البحر المحيط، 1413هـ ـ 1993م، (292/8 ـ 293).

وربطت ذلك بدعوة الإنسان إلى التأمل المتكرر حتى يشهد بنفسه كمال النظام. ولذلك تركزت عباراتهم حول ألفاظ الإحكام، والإتقان، والتناسب، والحكمة، وانتفاء الفطور، مع توظيف هذه المعاني في بناء الاستدلال العقلي على كمال علم الله تعالى وقدرته، دون الاقتصار على مجرد التفسير اللغوي للآيتين.

4.3. توظيف علماء الماتريدية لآيتي الإتقان في تقرير وجود الله تعالى.

بعد استقراء نصوص الماتريدية يظهر أن عنايتهم بآيتي النمل والملك تجاوزت مجرد تقرير إحكام الخلق إلى بناء برهان عقلي على الوحدانية والحكمة والبعث؛ إذ نظروا إلى الإتقان بوصفه نظامًا كليًا ينتظم أجزاء الكون، ويستحيل معه تعدّد الخالق أو انتفاء الحكمة عن أفعاله. ولذلك جمعوا بين التفسير اللغوي للآيتين واستنباط الدلالات العقلية المترتبة عليهما، مع توجيه الخطاب القرآني إلى إعمال النظر والتفكر المؤدي إلى اليقين.

أما آية النمل ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فقد فسّر الماتريدية الإتقان بأنه الإحكام الذي يكشف عن الحكمة وحسن النظام، فقد بيّن أبو منصور الماتريدي (ت333هـ) أن معنى أتقن: "أحكم وأبرم"، وقيل: "أحسن كل شيء"[47]، فجعل الإحكام والإحسان أصل معنى الآية. وقرّر أبو الليث السمرقندي (ت375هـ) أن معنى الآية: "أحكم خلق كل شيء"، ثم زاد بيانًا فقال: "الشيء المتقن أن يكون وثيقًا ثابتًا، فما كان من صنع غيره يكون واهيًا، ولا يكون متقنًا"[48]، فجعل ثبات النظام وإحكامه علامة فارقة بين صنع الله وصنع المخلوق. كما أبرز أبو السعود (ت982هـ) أن ما يجري في الكون إنما هو من "بدائع صنع الله المبنية على أساس الحكمة"، وأن الله سبحانه "أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة"[49]، وهو معنى استشهد به علي القاري (ت1014هـ) في تعريفه للصنع بأنه "عمل فيه إحكام وحسن نظام"[50].

وأما آية الملك ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ فقد بلغت عند الماتريدية منزلة أوسع في بناء

---

(47) أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 1425هـ ـ 2004م، (579/3).

(48) السمرقندي، بحر العلوم، 1413هـ ـ 1993م، (506/2).

(49) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د.س، (287/4).

(50) القاري، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، 1419هـ ـ 1998م، (ص85).

البرهان العقلي؛ إذ لم يقتصروا على الاستدلال بها على الإحكام، بل استخرجوا منها لوازم عقدية متعددة. ويعدّ تفسير أبي منصور الماتريدي أبرز مثال لهذا الاتجاه؛ إذ جعل انتفاء الفطور والتفاوت دليلا على الوحدانية، فقال: "إذا لم تر فيه فطورا أو شقوقا، بل تراه منسقا مجتمعا؛ دلّ على وحدانيته وقدرته وسلطانه"، ثم ربط بين انتفاء التفاوت وإثبات الحكمة بقوله: "ارتفاع التفاوت يدل على حكمته وعجيب تدبيره"، بل وسّع دائرة الاستدلال حتى جعل ذلك مؤيدًا للإيمان بالبعث؛ لأن ثبوت الحكمة ينافي العبث[51]. وفسّر السمرقندي الآية بأن اختلاف الخلق واضطرابه أو وجود العيب والخلل منتف، وأن القرآن أمر بإعادة النظر "ليعتبروا به ويتفكروا في قدرته"، حتى يرجع البصر "قد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللًا"[52]. وسار أبو البركات النسفي (ت710هـ) على هذا النهج، فشرح التفاوت بأنه "عدم التناسب"، وجعل الأمر بإرجاع البصر غايته أن "يصح عندك ما أُخْبِرت به بالمعاينة، فلا تبقى معك شبهة فيه"، أي إن الملاحظة الحسية تؤكد البرهان العقلي وتزيل الشك[53]، بينما أبرز أبو السعود أن التعبير بقوله: ﴿**خَلْقِ الرَّحْمَنِ**﴾ ينبّه إلى أن هذا التناسق إنما هو أثر لقدرة الرحمن وحكمته، وأن إعادة النظر إنما شرعت ليصل الإنسان إلى اليقين من طريق المشاهدة والتأمل[54].

ويظهر من مجموع نصوص الماتريدية أن استدلالهم بآيتي النمل والملك لم يقم على الاستشهاد بالكون مجردَ شاهدٍ على وجود الخالق؛ وإنما على قراءة نظامه قراءة عقلية دلالية، فالإتقان الذي تقرّره آية النمل، وانتفاء التفاوت الذي تؤكدّه آية الملك؛ يمثّلان في نظرهم مقدمتين متلازمتين يقود التأمّل فيهما إلى الإقرار بوحدة التدبير وكمال الحكمة. ولذلك اتجهت عنايتهم إلى إبراز ما في انتظام العالم من دلالة على أن أفعال الله جارية على الحكمة والإحكام، وأن هذا النظام المحكم لا ينسجم مع العبث، بل يدل على الغاية والقصد، حتى غدت الآيتان عندهم منطلقا قرآنيا يجمع بين الوصف الدقيق للكون والاستدلال العقلي على ما وراء هذا الوصف من معانٍ عقدية.

---

(51) الماتريدي، مرجع سابق، (190/5).

(52) السمرقندي، مرجع سابق، (386/3).

(53) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 1419هـ ـ 1998م، (511/3).

(54) أبو السعود، مرجع سابق، (359/5).

5.3. خاتمة تحليلية.

تكشف الدراسة المقارنة لنصوص السلف، ثم تفاسير علماء أهل الحديث والأشاعرة والماتريدية، عن وحدة الأصل القرآني الذي انطلقت منه هذه المدارس في تقرير دليل الإتقان، مع تمايز مناهجها في إبراز وجوه دلالته والاستنباط منه. فقد أرست تفسيرات السلف الأساس التفسيري لهذا البرهان؛ إذ دارت أقوالهم في آية النمل حول إثبات كمال الإحكام والإحسان والإبرام، وفي آية الملك حول نفي التفاوت والخلل والفطور، فتضافرت الآيتان في تقرير أن خلق الله بالغ الغاية في الإتقان، منزَّه عن كل نقص، مع توجيه القرآن إلى النظر في هذا الإحكام والتثبت منه بالمشاهدة والتأمل.

وعلى هذا الأساس بنى علماء أهل الحديث استدلالهم، فحافظوا على المسلك القرآني في تقرير البرهان، فجعلوا الآيتين أصلًا في الاستدلال على وجود الله تعالى وكمال صفاته، وربطوا بين ظاهر النصوص وما يشهده العقل والفطرة من إحكام الخلق وانتظامه. ولم يقتصروا على بيان المعاني اللغوية لألفاظ الإتقان والتفاوت والفطور، بل استثمروا دلالتها العقلية في تقرير أن هذا النظام المحكم شاهد على كمال علم الله وقدرته وحكمته. غير أن عنايتهم انصبت على إثبات دلالة الآيتين على هذه الحقائق العقدية، مع إبقاء البرهان منطلقًا من ظاهر النص القرآني وما يهدي إليه من نظر فطري مباشر.

أما الأشاعرة والماتريدية فقد اتجه اهتمامهم إلى تحليل وجه الدلالة العقلية التي تتضمنها الآيتان، فلم يكتفوا بإثبات أن الإتقان دليل على الخالق، بل سعوا إلى بيان كيفية انتقال العقل من مشاهدة الإحكام وانتفاء الخلل إلى إثبات ما يقتضيه ذلك من كمال العلم والقدرة والحكمة ووحدة التدبير. ولذلك توسعوا في شرح ألفاظ الآيتين، وربطوا بين الإحكام وحسن النظام والتناسب، وبين نفي التفاوت والفطور، فجاء تفسيرهم ممتزجًا بالتحليل العقلي، ومنسجمًا مع الأصول الاستدلالية المقررة في مصنفاتهم العقدية، دون أن يخرج عن الدلالة التي يحتملها السياق القرآني.

ومع اشتراك المدرستين في هذا المسلك التحليلي، فإن بينهما تمايزًا في توظيف نتائجه؛ إذ غلب على الأشاعرة توجيه دلالة الآيتين إلى تقرير ما يكشف عنه إحكام الخلق من كمال علم الله تعالى وقدرته وحكمته، مع إبراز البناء المنطقي الذي تنتظم فيه هذه الدلالة. أما الماتريدية فقد وسعوا مجال الاستنباط، فجعلوا انتظام

الكون وانتفاء التفاوت منطلقًا لإثبات وحدة التدبير، ونفي العبث عن أفعال الله تعالى، وتقرير الحكمة الغائية في الخلق، وربط بعضهم ذلك بإثبات البعث باعتباره مقتضى الحكمة الإلهية. ومن ثم فإن التحليل العقلي عند الأشاعرة اتجه غالبًا إلى تعميق وجه الدلالة، بينما اتجه عند الماتريدية إلى توسيع ثمرات هذه الدلالة واستثمارها في بناء نتائج عقدية أوسع.

ومن ثمّ؛ فإن الفرق بين هذه المناهج لا يتمثّل في أصل الاحتجاج بدليل الإتقان، ولا في الإقرار بدلالته على وجود الله تعالى؛ إذ الجميع متفقون على ذلك، وإنما يظهر في طريقة معالجة الدلالة. فأهل الحديث غلب عليهم تقرير الدلالة القرآنية كما جاءت، وربطها بما تشهده الفطرة والعقل من إحكام الخلق وانتفاء الخلل، بينما اتجه الأشاعرة إلى تحليل البناء الكامن في هذه الدلالة، وإبراز مقدماته المنطقية، في حين وسع الماتريدية دائرة هذا التحليل، فجعلوا منه أساسًا لاستنباط جملة من اللوازم العقدية المتصلة بالوحدانية والحكمة والغاية والبعث. وبهذا تكشف الدراسة أن دليل الإتقان مثّل ميدانا مشتركا بين المدارس الثلاث، غير أن كل مدرسة أبرزت جانبًا من ثرائه الاستدلالي بما ينسجم مع منهجها في تقرير مسائل الاعتقاد.

6.3: صياغة الحجج القرآنية لدليل الإتقان والإحكام.

بعد عرض أهم الآيات الدالة على وجود الله تعالى بدليل الإتقان وأقوال المفسرين في ذلك، يمكن أن نلخص الحجة على النحو التالي:

م1: هذا الكون صنعة بالغة الإحكام والإتقان، كاملة النظام والتناسق، كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النمل: 88] وكما يشهد بذلك النظر المتكرر في خلق السماوات، الذي يؤكد سلامتها وتناسقها، كما في قوله تعالى: ﴿**مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ [الملك: 3-4]

م2: كل صنعة بالغة الإحكام والإتقان، كاملة النظام والتناسق، فهي دالة على وجود صانع لها، متصف بالعلم والقدرة والحكمة.

ن: فهذا الكون دال على وجود صانع له، عليم قدير حكيم، وهو الله سبحانه وتعالى.

4. دليل الإتقان والإحكام في ضوء علم اللاهوت الطبيعي المعاصر.

يستخدم علماء اللاهوت الطبيعي المعاصرون اسم حجج التصميم الذكي (Intelligent design arguments) أو الحجج الغائية (Teleological arguments) للدلالة على مجموعة من الأدلة المستنبطة من مختلف العلوم الطبيعية الحديثة التي تشير نتائجها إلى وجود مصمم ذكي، أي يتصف بالعلم والحكمة والقدرة والحياة والعقل والذكاء.

4. 1. حجج التصميم الذكي عند علماء اللاهوت الطبيعي المعاصر

أهم الأدلة التي يستشهد بها علماء اللاهوت الطبيعي اليوم لإثبات وجود المصمم الذكي (الله تعالى) هي: **حجة الضبط الدقيق للكون، وحجة التعقيد البيولوجي في عالم الأحياء، وحجة المعلومات البيولوجية التي في الحمض النووي.**

ووجه أهميتها من جهتين:

الأولى: أنها تكشف بدقة الدرجة العالية التي عليها بعض المخلوقات في الكون من الإتقان والإحكام.

والثانية: أنها تستبعد جدا إلى حد الاستحالة كون هذا الإتقان والإحكام من العدم أو الصدفة أو نتيجة التطور الداروينى، وإنما من مصمم ذكي، متصف بالعلم والقدرة والحكمة وغيرها من الصفات المستلزمة لوجود هذا الإتقان.

وبهذا تكون هذه الحجج الثلاث داعمة لكلا المقدمتين للصيغة المنطقية لدليل الإتقان القرآني.

1.1.4. حجة الضبط الدقيق كدليل على مصمم ذكي

تعتمد حجة الضبط الدقيق (The Fine-Tuning Argument) في أحد أنواعها على اكتشاف حديث نسبيا في علم الفيزياء، وهو أن كوننا ما كان ليحتوي على كائنات حية لولا أن عددا من خصائصه الأساسية جاء مضبوطا بدقة متناهية، أو مهيأ تهيئة دقيقة، بما يسمح بوجود الحياة. وليس مستغربا أن يكون الكون مهيئا للحياة لو افترضنا وجود خالق له، أما على القول بأنه أتى صدفة، فهذا مستبعد جدا.

هناك أمثلة متعددة يذكرها الفيزيائيون كدليل لإثبات أن الكون قد ضبط ضبطا دقيقا مهيئا للحياة،

وأشهر ما يحتجون به هو "الثابت الكوني"[55].

الثابت الكوني (Cosmological Constant) هو رقم في الفيزياء يمثل كثافة الطاقة الموجودة في الفراغ الذي في الكون، تخيل أن الفراغ نفسه في الكون ليس "لا شيء"، بل يمتلك طاقة تسبب قوة دفع عكسية للجاذبية، أي قوة تجعل الفضاء يتمدد ويتوسع باستمرار.

فالكون مثل البالون، بدأ في التمدد منذ فترة انفجاره، والثابت الكوني هو العامل الذي يحدد قوة الدفع التي تجعل الكون يتمدد، وقيمة هذا الثابت عند علماء الفيزياء مضبوط بدقة مذهلة، بحيث أنه إذا كانت أكبر بقليل جدا، لتمدد الكون بسرعة هائلة، ولما تجمعت المادة لتكوين النجوم والمجرات والكواكب، وإذا كانت أصغر بقليل جدا، لتوقف تمدّد الكون أو انهار على نفسه قبل أن تتكوّن النجوم والكواكب. أما قيمته الحالية فهي تسمح بتكوّن المجرّات والنجوم، ومن ثَمّ الكواكب والحياة، ولذلك يُستشهد بالثابت الكوني في حجة الضبط الدقيق باعتباره مثالا على أن تغيرا طفيفا للغاية في أحد ثوابت الطبيعة كان سيجعل الحياة مستحيلة؛ لهذا يرى علماء اللاهوت الطبيعي أن هذه الدقة تحتاج إلى تفسير، وأفضل تفسير لها هو القول بوجود مصمم ذكي هو الذي ضبط الكون بتلك الدقة المتناهية التي جعلت الحياة ممكنة فيه[56].

إن احتمال أن تقع قيمة الثابت الكوني ضمن النطاق الذي يسمح بوجود الحياة (من دون افتراض وجود مصمم للكون) يبلغ تقريبا 1 من 10^{120}، ولإبراز مدى ضآلة هذا الاحتمال، يوضح الفيلسوفان جون هوثورن ويوآف إسحاقس ذلك بالمقارنة الآتية: "إن احتمال أن تخمّن هوية شخص مختار عشوائيا من ولاية رود آيلاند يبلغ نحو 1 من مليون، واحتمال أن تخمّن هوية شخص مختار عشوائيا من الهند يبلغ نحو واحدًا من مليار، أما احتمال أن تخمّن ذرة مختارة عشوائيا من الكون المعروف فيبلغ نحو 1 من 10^{80}، وهو

---

(55) ينظر للتوسع: Martin Rees, Just Six Numbers: *The Deep Forces That Shape the Universe* (New York: Basic Books, 2000).

(56) ينظر: Michael Rota, "The Fine-Tuning Argument," in *Contemporary Arguments in Natural Theology*, ed. Colin Ruloff and Peter Horban (London: Bloomsbury Academic, 2021), 70-72.

لا يقترب حتى من احتمال 1 من 10^{120}"[57].

ويستنتج مما سبق، أن وجود كون صالح للحياة يُتوقع بدرجة أكبر إذا افترضنا وجود مُصمم للكون، مقارنة بعدم افتراض وجوده، ولذلك فإن كونا صالحا للحياة يُعد دليلا على وجود مُصمم للكون وهو الله جلّ جلاله.

2.1.4. التعقيد البيولوجي كدليل على مصمم ذكي.

من حجج التصميم الذكي؛ ما يعرف بحجة **التعقيد البيولوجي** (The Argument from Biological Complexity)، لصاحبه مايكل بيهي[58].

يعتمد هذا الدليل على ما كشفته البيولوجيا الجُزيئية من تعقيد وتنظيم يؤيد بقوة الرأي القائل بأن الحياة نشأت نتيجة قصد وتصميم من عقل مدبر.

وأحد أهم الاكتشافات العلمية؛ هي أن الحياة، في أبسط مستوياتها، تعتمد على منظومة مذهلة من الآلات الجزيئية المعقدة، ويُشكل هذا الاكتشاف الركيزة الرئيسية لحجة التعقيد البيولوجي، وهذه النتيجة مستمدة من الملاحظة والتجربة، وهي مبنية على الاستقراء والتتبع وليست قائمة على القياس أو التمثيل.

ووجود التصميم أو عدم وجوده في المخلوقات يُعرف بالنظر إلى خصائصه، فالتصميم هو ترتيب مقصود للأجزاء من أجل تحقيق غاية. وكلما كانت الأجزاء أكثر تعقيدا وتنظيما؛ كان التصميم أكثر ظهورا. وبناء على ذلك؛ فإن الدليل على وجود عقل فاعل يتمثل في ملاحظة تنظيم هادف لعناصر الشيء، لأن القدرة على ترتيب الأجزاء وفق غرض محدد تُعد من خصائص الفاعل العاقل. ولهذا فإننا لا نستدل على

---

(57) John Hawthorne and Yoaav Isaacs, "Fine-tuning Fine-tuning," in *Knowledge, Belief, and God: New Insights in Religious Epistemology*, ed. Matthew A. Benton, John Hawthorne, and Dani Rabinowitz (Oxford: Oxford University Press, 2018), 150.

(58) عالم كيمياء حيوية أمريكي وأستاذ في جامعة ليهاي معاصر، يُعد من أبرز المدافعين عن نظرية التصميم الذكي، واشتهر بطرحه لمفهوم التعقيد غير القابل للاختزال (Irreducible Complexity)، الذي يرى أن بعض الأنظمة البيولوجية لا يمكن تفسير نشأتها بالتطور التدريجي وحده، ومن أشهر مؤلفاته Darwin's Black Box، The Edge of Evolution، وDarwin Devolves. ينظر: https://michaelbehe.com/profile .

وجود العقول وذكائها إلا من خلال آثارها في العالم، فإذا بدا أن أجزاء نظام ما قد نُظّمت بطريقة مقصودة لخدمة وظيفة معينة؛ فإننا نستنتج، بدرجات متفاوتة من الثقة، أن هذا التنظيم يقف وراءه عقل مصمّم.

يمكن صياغة حجة التعقيد البيولوجي على النحو التالي:[59]

م1: نحن نعرف من واقعنا أن الكائن الذكي عندما يريد تحقيق هدف، يقوم بتجميع الأجزاء وترتيبها بدقة لتؤدي وظيفة معينة (مثل صناعة الساعة أو السيارة).

م2: كلما رأينا نظاما معقدا وكان له هدف محدد؛ نجد دائما أن وراءه مصمّما ذكيا.

م3: الكائنات الحية مكونة من جزيئات غير حية (بروتينات، DNA، وغيرها)، لكنها مرتبة داخل الخلية بتعقيد مذهل لتؤدي وظائف محددة جدا وبدقة عالية.

م4: نعلم أنه لا توجد أي عملية عشوائية أو غير ذكية قادرة على بناء مثل هذا التناسق والتعقيد الوظيفي.

ن: النتيجة المنطقية هي أن المكونات المعقدة للحياة ناتجة عن مصمّم ذكي.

ويحتج مايكل بيهي على التعقيد البيولوجي في عالم الأحياء بتركيب **الأسواط البكتيرية** (Bacterial Flagellum) للتدليل على فكرة التصميم الذكي من خلال مفهوم يسمى: **التعقيد غير القابل للاختزال** (Irreducible Complexity).

ليشرح مايكل بيهي هذا المفهوم (التعقيد غير قابل للاختزال)؛ استخدم مثال **مصيدة الفئران العادية**، بحيث تتكون المصيدة من عدة أجزاء: قاعدة خشبية، نابض أو زنبرك، ماسك، وسلك. فإذا أزلت أيا من هذه الأجزاء ولو جزءا واحدا منها فقط؛ فلن تعمل المصيدة بنصف كفاءتها، بل ستتوقف عن العمل تماما، وبالتالي لا يمكن للمصيدة أن تتكون بالتدريج وتؤدي وظيفتها، فإما أن توجد جميع الأجزاء معا دفعة واحدة لتستطيع الإمساك بالفأر، أو لن تكون لها قيمة[60].

---

(59) ينظر: Michael J. Behe, "The Argument from Biological Complexity," *in* *Contemporary Arguments in Natural Theology*, ed. Colin Ruloff and Peter Horban (London: Bloomsbury Academic, 2021), 94.

(60) ينظر: Behe, "The Argument from Biological Complexity," 96-98.

ونفس ما قيل فيها يقال في السوط البكتيري، وهو الذيل الدوار الذي تستخدمه بعض البكتيريا للسباحة والحركة، حيث أنه يعمل تماما مثل المحرك النفاث أو محرك القارب، إذ يحتوي على دوار، وجزء ثابت، وخطاف، ومروحة أو خيط. يقول بيهي إن هذا السوط يتكون من حوالي 30 إلى 40 نوعا مختلفا من البروتينات، إذا نقص بروتين واحد منها؛ يتوقف المحرك تماما عن الدوران وتفقد البكتيريا القدرة على الحركة.

وهذا حسب رأيه يناقض التطور الداروينى المبني على التدرج والتطور في ظهور الكائنات وأجزائها خطوة بخطوة على مدى ملايين السنين، فيعتقد أن النظرية الداروينية لا يمكنها أن تفسر ظهور مثل هذا الجهاز؛ لأن المراحل التطورية الأولى التي تحتوي على نصف الأجزاء فقط لن تقدم أي فائدة للبكتيريا، والتطور لا يحتفظ إلا بما هو مفيد، لذلك، يرى أن وجوده يدل على وجود مصمم ذكي خلق تلك الأسواط المعقدة مباشرة من غير تطور[61].

3.1.4. المعلومات البيولوجية كدليل على مصمم ذكي

لقد كشف علم الأحياء الجزيئي عن وجود نظام معلوماتي رقمي مشفر داخل جزيء الحمض النووي (DNA) في أبسط الكائنات الحية. ويرى ستيفن ماير[62] أن هذا الاكتشاف منح حجة التصميم التقليدية أساسا علميا جديدا، وجعلها أكثر قوة مما كانت عليه في صيغتها الكلاسيكية.

ويمكن اختصار أساس حجته على النحو التالي:[63]

---

(61) ينظر: Behe, "The Argument from Biological Complexity," 99-101.

(62) ستيفن سي. ماير (Stephen C. Meyer) فيلسوف أمريكي معاصر متخصص في فلسفة العلم وأحد أبرز المدافعين عن نظرية التصميم الذكي، يشغل منصب زميل في معهد ديسكفري، وتركز أبحاثه على أصل المعلومات البيولوجية ونشأة الحياة، اشتهر بحجته القائلة إن المعلومات الرقمية المشفرة في الحمض النووي (DNA) تُعد أفضل تفسيرا لوجود عقل مصمم، وعرض هذه الفكرة في كتبه: Signature in the Cell، وDarwin's Doubt، وThe Return of the God Hypothesis. ينظر: https://stephencmeyer.org/about

(63) ينظر: Stephen Meyer, "The Argument from Biological Information," in *Contemporary Arguments in Natural Theology*, ed. Colin Ruloff and Peter Horban (London: Bloomsbury Academic, 2021), 119-120.

م1: **الحمض النووي (DNA) يحتوي على معلومات مشفرة أشبه بالبرامج:**

اكتشف العلماء أن الـ DNA ليس مجرد مركب كيميائي معقد، بل هو يختزن معلومات رقمية ومحددة وظيفيا (Functional Information) تشبه إلى حد كبير الأكواد والشفريات البرمجية (0 و1) في عالم الكمبيوتر. هذه الشفريات هي التي تعطي التعليمات لبناء البروتينات وتشغيل الخلية.

م2: **المعلومات المعقدة والمحددة تأتي دائما من عقل مدبر وذكي:**

من واقع خبرتنا اليومية والعلمية المباشرة؛ نلاحظ أن المعلومات المعقدة والمحددة (مثل كتاب، أو سطر برمجي، أو الرسائل النصية) لا تَنْتُج أبدا عن طريق المصادفة العشوائية أو القوانين العمياء (مثل الرياح أو التفاعلات الكيميائية غير الموجهة)، بل تستلزم دائماً وجود عقل ذكي وراءها.

م3: **الانتخاب الطبيعي والطفرات العشوائية (التطور الداروينى) لا يستطيعان تطوير هذه الشفرة:**

يحاول التطور الطبيعي تفسير نشأة الحياة عبر "الانتخاب الطبيعي" و"الطفرات العشوائية"، لكن ستيفن ماير يوضح أن الطفرات العشوائية أشبه بشخص يكتب على لوحة المفاتيح بأسلوب عشوائي، وهذا لن يُنتج أبدا برنامج كمبيوتر يعمل بنجاح. والانتخاب الطبيعي لا يستطيع أن يعمل إلا بعد وجود خلية حية تتكاثر بالفعل، وبالتالي لا يمكنه تفسير كيف ظهرت أول شفرة جينية لنشأة أول خلية حية.

ن: **التصميم الذكي:**

بما أن السبب الوحيد المعروف لإنتاج الشفرات والمعلومات الوظيفية في الطبيعة هو العقل أو الذكاء، وبما أن الطرق المادية العشوائية تفشل في تفسير نشأة هذه الشفرة البيولوجية؛ فإن الاستنتاج الأقوى علميا: هو أن الحمض النووي صُمم بواسطة ذكاء موجه.

وهذه الحجة مبنية على ما يعرف بالاستدلال بالتفسير الأفضل (Inference to the Best Explanation)، أي عند تعارض عدة فرضيات لتفسير حدث في الماضي؛ يُعتمد الخيار الأفضل بناء على الكفاءة السببية (Causal Adequacy)، وتعني أن السبب المقترح يجب أن يكون معروفا بحكم مشاهدتنا

الحالية بقدرته على إنتاج هذا النوع من الأثر[64].

ويذكر ستيفن ماير أن التجارب الحديثة في علم الأحياء الجزيئي تُظهر أن البروتينات الوظيفية نادرة للغاية بين جميع الترتيبات الممكنة للأحماض الأمينية. واستنادا إلى هذه النتائج؛ يُقدر أن احتمال تكوّن بروتين وظيفي واحد فقط، مُكون من 150 حمضا أمينيا، عن طريق المصادفة وحدها لا يتجاوز 1 من أصل 10^{164}، وهو احتمال ضئيل إلى درجة تكاد تجعله مستحيلا عمليا، ولذلك يُعد هذا من أهم الأدلة التي يستند إليها في الدفاع عن فرضية التصميم الذكي[65].

4.1.4. الخلاصة

توصل **علم الفيزياء الحديث** في حديثه عن الثابت الكوني أنه موزون بدقة متناهية يسمح بوجود الحياة، وأي تغيير بسيط فيه يجعل الكون عقيما، مما يشير إلى وجود عقل مدبر ومصمم له.

وتوصل **علم الأحياء الجزيئي** في حديثه عن الآلات والأنظمة البيولوجية الجزيئية داخل الخلية التي تتكون من عدة أجزاء متفاعلة ومترابطة بشكل لا يمكن استغناء أي جزء منها عن الآخر أنها صُممت كمنظومة واحدة متكاملة بوساطة عقل ومصمم ذكي.

وتوصل **علم الأحياء الجزيئي** أيضا في حديثه المعلومات المشفرة التي في الحمض النووي للخلية بأنها لا تنتج إلا عن مصدر ذكي وموجه، ويستحيل أن تكون عن طريق العمليات العشوائية الصماء.

2.4. تقييم موقف علماء اللاهوت الطبيعي المعاصر من دليل الإحكام والإتقان

يمكن أن نقف وقفتين مهمتين لتقييم دليل الإحكام والإتقان على وجود الله تعالى عمومًا، ولتقييم حجج التصميم الذكي خصوصًا:

الوقفة الأولى:

إن دليل الإحكام والإتقان، وحجج التصميم الذكي التي تقوم على ملاحظة النظام والتعقيد والضبط الدقيق في الكون والحياة، لا تكفي ـ إذا اقتصرت على إثبات التصميم ـ لتحديد هوية المصمم؛ إذ غايتها إثبات

---

(64) ينظر: Meyer, "The Argument from Biological Information," 118-119.

(65) ينظر: Meyer, "The Argument from Biological Information," 113.

فاعل ذكي وراء هذه الظواهر، دون أن يتبين منها بالضرورة أنه واجب الوجود أو أنه خالق جميع الموجودات. ولذلك يحتاج الاستدلال إلى مقدمة أخرى تبيّن افتقار هذه الموجودات إلى موجد غير مفتقر، بحيث ينتقل البرهان من إثبات «مصمم ذكي» إلى إثبات خالق هو الله تعالى.

فلا بدّ من أن تضاف إليها الحجج الدالة على بطلان التسلسل في الماضي، أو بيان أن الموجودات التي وقع فيها الإحكام والإتقان من الممكنات المفتقرة إلى غيرها، وأن افتقار الممكنات لا بد أن ينتهي إلى موجود واجب الوجود غني بنفسه؛ وذلك حتى لا يبقى احتمال أن يكون المصمم الذكي نفسه مخلوقا من المخلوقات ـ المتطورة جدا مثلا كما اقترح ريتشارد دوكنز[66] ـ، أو ممكنا من الممكنات، بل يجب أن ينتهي الأمر إلى واجب الوجود الله تعالى.

فينبغي أن يضاف إلى نتائج تلك الأدلة ما يلي:[67]

م1: الموجودات التي يظهر فيها الإحكام والإتقان حادثة أو ممكنة الوجود، مفتقرة في أصل وجودها إلى غيرها.

م2: كل حادث أو ممكن مفتقر إلى موجد أو مرجح، ولا يمكن أن يستمر الافتقار في سلسلة لا تنتهي، بل لا بد أن ينتهي إلى موجود واجب الوجود غني بنفسه.

ن: إذن؛ الظواهر الطبيعية الموجودة في الكون، والدالة على الإحكام والإتقان تفتقر في أصل وجودها إلى موجود واجب الوجود، هو الله تعالى.

ولهذا فإن الاستدلال بالإحكام والإتقان في التراث العقدي الإسلامي لا يقتصر على مجرد إثبات مصمم ذكي؛ بل ربطه العلماء على اختلاف مدارسهم العقدية بجملة من الاستدلالات العقلية المفضية

---

(66) ينظر الفيلم الوثائقي: Ben Stein, *Expelled: No Intelligence Allowed*, Directed by Nathan Frankowski (Los Angeles: Premise Media, 2008).

(67) ينظر: Malik, S., Karamali, H. & Khalayleh, M., (2022) "DOES CRITICIZING INTELLIGENT DESIGN (ID) UNDERMINE DESIGN DISCOURSE IN THE QUR'ĀN? A KALĀMIC RESPONSE", *Zygon: Journal of Religion and Science* 57(2), 499.

إلى إثبات الخالق سبحانه وتعالى. فالبيضاوي من أئمة الأشاعرة أشار إلى أن في قوله تعالى :﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ والفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ومَا أَنْزَلَ اللهُ مِن السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 164] دلالة على وجود الله من وجوه كثيرة، ثم قال: "والكلام المجمل أنها: أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة، وأنحاء مختلفة... فلا بد لها من موجد قادر حكيم، يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته، متعاليًا عن معارضة غيره"[68].

ويتّضح المعنى نفسه في تقرير الفرهاري الماتريدي لطريق الإمكان؛ إذ يقرّر في شرحه للعقائد النسفية أن الموجود إما أن يكون واجبًا أو ممكنا، فإن كان ممكنا "احتاج إلى ما يُرجّح وجوده، ويجب الانتهاء إلى الواجب قطعا للدور والتسلسل"[69].

ولا يقف هذا الأصل عند علماء الكلام؛ بل نجد عند ابن تيمية تقريرا واسعا لأصوله العقلية، وإن كان يعرضها بطريقة غير متوقفة على الاصطلاح الكلامي، فهو يقرّر أن "المعلوم لكلّ أحد أن الممكن الذي لا يوجد بنفسه لا بدّ له من غيره، فلا يترجّح وجوده إلا بمُرجِّح"[70]، وأن تخصيص "حدوث الحادث بوقت دون وقت، وصفة دون صفة، وتخصيص أحد المثلين بما يختص به عن الآخر؛ لا بدّ له من مُخصّص"[71]. ويقول في موضع آخر: "والعالم فيه من الإحكام والإتقان ما دلّ على علم الربّ، وفيه من الاختصاص ما دلّ على مشيئته، وفيه من الإحسان ما دلّ على رحمته، وفيه من العواقب الحميدة ما دلّ على حكمته، وفيه من الحوادث ما دلّ على قدرة الربّ تعالى"[72].

بذلك تتكامل وجوه متعددة من الدلالة لإثبات خلق الله تعالى لهذا الكون ورعايته وإحكامه:

---

(68) البيضاوي، مرجع سابق، (155/1).

(69) الفرهاري، النبراس شرح شرح العقائد، 1433هـ ـ 2012م، (ص198).

(70) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، 1411هـ ـ 1991م، (116/8).

(71)ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (293/8)، وانظر ابن تيمية، شرح العقيدة الأصبهانية، 1430هـ، (ص52).

(72)مجموع فتاوى ابن تيمية، 1425هـ ـ 2004م، (591/12 ـ 592)، وانظر درء تعارض العقل والنقل (111/9).

فالإمكان يدلّ على الافتقار، والاختصاص يدلّ على المخصص، والإحكام يدلّ على العلم والقدرة، والتدبير يدلّ على الحكمة.

وهذا التوسيع مهم في تقييم حجج التصميم الذكي؛ لأن المصمَّم المفترض ـ إذا كان مخلوقا ممكنا مفتقرا ـ لا يحلّ المشكلة، بل ينتقل السؤال إلى مُوجدِ ذلك المصمَّم، ثم إلى ما قبله، حتى ينتهي الأمر إلى موجودٍ غنيٍ بنفسه لا يفتقر إلى غيره. ومن هنا يكون ضمّ دليل الإمكان والافتقار إلى دليل الإحكام والإتقان طريقا لتجاوز النتيجة المحدودة التي قد تقف عندها حجة التصميم الذكي، وهي إثبات مجرد "مصمِّم ذكي"، إلى إثبات **الخالق واجب الوجود**.

الوقفة الثانية:

يلاحظ في بعض صيغ الاستدلال المعاصر على الإحكام والإتقان أنها تجعل التفسير الطبيعي مُنافِسا للتفسير الإلهي؛ وذلك على صورتين مختلفتين:

الصورة الأولى :أن يُفسَّر الإحكام والتعقيد والانتظام تفسيرا طبيعيا ماديا، بحيث تُرد الظواهر إلى القوانين والعمليات الطبيعية وحدها، ويُستغنى بذلك عن افتراض خالق أو مدبِّر وراءها.

الصورة الثانية :أن يُسلَّم بوجود خالق أو مصمِّم للكون، لكن يُفصل بين خلقه للكون وتدبيره المستمر له، فتُجعل الأسباب والقوانين الطبيعية مستقلّة في عملها بعد الخَلْق.

وتندرج هذه الصورة في التصور الرَبوبي؛ إذ إنكار الربوبيين للتدبير الكوني يقوم على القول بأن الإله خلق الكون ووضع قوانينه الثابتة ثمّ تركه يعمل بآليته الخاصة دون تدبير إلهي، وأن الحوادث الكونية إنما تجري بفعل أسباب طبيعية تعمل وفق نظام ميكانيكي داخلي لا علاقة للإله به[73].

فالمشكلة في هذين الاتجاهين ليست واحدة: **فالأول ينتهي إلى الاستغناء عن الخالق، والثاني يُثبِت الخالق ثم يستغني عن تدبيره.** وكلاهما يختلف عن التصوّر القرآني الذي لا يجعل الأسباب الطبيعية مستقلّة عن الله تعالى في أصل وجودها، ولا في نظامها، ولا في تأثيرها.

---

(73) انظر سامي العامري، براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، 1445هـ ـ 2024م، (ص25 ـ 26)، وأحمد شوقي إبراهيم علي عبد الله، التيار الربوبي وموقفه من التدبير الإلهي: دراسة نقدية، 2024م، (ص 1361-1363).

وهذا المعنى تؤيّده تقريرات علماء الإسلام وأئمة أصول الدين، كتقرير ابن تيمية في باب الأسباب والمسبّبات؛ فقد بيّن أن "**الله تعالى خلق الأسباب والمسبّبات**"، وأن "**الأسباب ليست مستقلة بالمسبّبات**"، بل لا بد من أسباب أخرى تُعِينها وموانع تُدْفَع، وأن المسبَّب لا يكون حتى يخلق الله أسبابه ويدفع موانعه بمشيئته وقدرته[74]. كما يقول في موضع آخر: "**والله سبحانه خلق الأسباب والمسبّبات، وجعل هذا سببا لهذا**"؛ فإثبات السببية لا يعني استقلال السبب عن الله، بل السبب نفسه داخل في القدر والخلق الإلهي[75].

وعلى هذا؛ فإن تقديم تفسير طبيعي لآلية حدوث ظاهرة من ظواهر الضبط أو التعقيد البيولوجي لا يلزم منه بذاته نقض أصل الاستدلال بالإحكام والإتقان، لأن التفسير الطبيعي يجيب عن سؤال: **كيف تحدث الظاهرة؟**، بينما يبقى السؤال عن **وجود السبب نفسه، واختصاصه، ونظامه، وما بين أجزائه من تناسب، وافتقاره في أصل وجوده إلى غيره**. فالسبب الطبيعي نفسه موجود ممكن، وليس وجوده الذاتي واجبا، كما أن دخوله في شبكة الأسباب والمسبّبات وانتظامه في النظام الكوني المحكم لا يخرجه عن كونه مخلوقا داخلا في تدبير الله تعالى.

ومن ثمّ، فلا يلزم في التصور القرآني أن يكون التفسير الطبيعي والتفسير الإلهي في حالة تنافس، إذ يمكن أن يكون التفسير الطبيعي **جزءا من التفسير الكلّي** الذي يُفسّر الموجودات وأسبابها ومسبّباتها، ويردّها في نهاية الأمر إلى خالقها ومدبّرها سبحانه وتعالى. فالكشف عن القوانين والأسباب التي تجري بها الظواهر لا يقتضي استقلالها عن الله تعالى، ما دامت هذه الأسباب نفسها داخلة في نظام الخلق، قائمة بإيجاده وتقديره وتدبيره. وبذلك يختلف التصوّر القرآني عن الاتجاه الذي يجعل الطبيعة مكتفية بنفسها، كما يختلف عن التصوّر الربوبي الذي يثبت الخالق ثم يفصِل بين خلقه وتدبيره المستمر.

ومن هذه الجهة يتبين الفرق بين **دليل الإتقان في التصور القرآني** وبعض الصيغ المعاصرة لحجج التصميم الذكي؛ فالأول لا يتوقف في دلالته على جعل التفسير الطبيعي منافسا للتفسير القائم على التصميم، وإنما ينظر إلى انتظام الأسباب والقوانين نفسها بوصفه جزءا من النظام الذي يدلّ على خالقه ومدبّره. أما

(74) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، (8/487ـ488).

(75) المصدر السابق، (8/138ـ139).

بعض حجج التصميم الذكي فتُبنى على مقابلة التفسير القائم على التصميم بالتفسيرات الطبيعية، بحيث يكون إثبات التصميم مرتبطا بإثبات قصور التفسير الطبيعي المنافِس عن تفسير الظاهرة محلّ البحث(76).

وعليه؛ فإن دليل الإحكام والإتقان إذا ضُمَّ إلى دليل الإمكان والافتقار لا يقف عند إثبات مصمِّم ذكي، كما لا يتوقف الاستدلال به على إبطال التفسيرات الطبيعية لآليات الظواهر، إذ إن الأسباب والقوانين التي يكشف عنها العلم نفسها داخلة في عالم الممكنات المفتقرة، وانتظامها وعملها وفق نظام محكم لا يخرجها عن كونها أسبابا مخلوقة، بل يجعلها جزءا من النظام الذي يُستدَلّ بإحكامه وانتظامه على خالقه ومدبّره سبحانه وتعالى.

5. خاتمة

بعد استعراض مفهوم دليل الإحكام والإتقان في القرآن الكريم، وبيان منهجه في الاستدلال، وتتبع توظيف علماء المسلمين له، ثم النظر في أبرز الصياغات المعاصرة لحجج التصميم وتقويمها في ضوء التصور القرآني؛ يمكن إجمال أهم النتائج التي انتهت إليها الدراسة فيما يأتي:

ـ أن دليل الإحكام والإتقان يمثّل وجها أصيلا من وجوه الاستدلال القرآني على وجود الله تعالى، وأنه لا ينحصر في صورة واحدة، بل يتناول ما يظهر في الموجودات من إحكام الصنعة، وانتظام النظام، وتناسب الأجزاء، وانتفاء الخلل والتفاوت، وما يتصل بذلك من العناية والتقدير والتسخير والتدبير والتخصيص.

ـ أن البناء القرآني لدليل الإحكام والإتقان يتكامل في صورتين رئيستين :صورة إثبات الإتقان وكمال الصنعة في قوله تعالى: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل: 88]، وصورة نفي التفاوت والخلل في قوله تعالى: ﴿**مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ [الملك: 3]، مع توجيه الناظر إلى تكرار النظر في

(76) ينظر: Malik, S., Karamali, H. & Khalayleh, M., (2022) "DOES CRITICIZING INTELLIGENT DESIGN (ID) UNDERMINE DESIGN DISCOURSE IN THE QUR'ĀN? A KALĀMIC RESPONSE", Zygon: Journal of Religion and Science 57(2), 507-508.

الخلق للتحقق من ذلك، وباجتماع الإثبات والنفي يتأسّس البناء الاستدلالي للدليل.

ـ أن علماء المسلمين ـ على اختلاف مدارسهم العقدية ـ وظّفوا هذا الدليل في إثبات وجود الله تعالى وكمال صفاته، فاشترك أهل الحديث والأشاعرة والماتريدية في أصل الدلالة مع اختلافهم في طريقة تحليلها وتوسيع نتائجها، فغلب على أهل الحديث إبراز الدلالة القرآنية والفطرية المباشرة، واتجه الأشاعرة إلى تحليل لوازم الإحكام العقلية، بينما وسّع الماتريدية دائرة هذه اللوازم إلى الوحدانية والحكمة والغاية والبعث.

ـ أن معطيات اللاهوت الطبيعي المعاصر قدمت صورا تفصيلية جديدة لمظاهر الإحكام والإتقان، ولا سيما من خلال حجة الضبط الدقيق، والتعقيد البيولوجي، والمعلومات البيولوجية، وهي معطيات يمكن أن تعزّز ملاحظة الإحكام وتدعم المقدمة المتعلقة بوجود النظام والتعقيد، دون أن تكون هي ذاتها بديلا عن البناء العقدي الكلّي للاستدلال.

ـ أن بعض صيغ حجج التصميم الذكي لا تستقل بإثبات أن المصمّم هو الله تعالى؛ لأن إثبات مصمّم ذكي لا يستلزم بذاته إثبات واجب الوجود أو الخالق الأول، ومن ثمّ يحتاج الاستدلال إلى مقدمات عقلية أخرى، من أهمها: بيان افتقار الموجودات الممكنة إلى غيرها، وانتهاء هذا الافتقار إلى موجود واجب الوجود غني بنفسه.

ـ أن دليل الإحكام والإتقان في صيغته القرآنية لا يتوقف على إبطال التفسيرات الطبيعية للظواهر، ولا يلزم أن يكون التفسير الطبيعي والتفسير الإلهي متنافسين؛ لأن الأسباب والقوانين الطبيعية نفسها من الموجودات الممكنة، وهي داخلة في نظام الخلق، فلا يمنع اكتشاف كيفية حدوث الظاهرة من بقاء السؤال عن أصل وجودها ونظامها وافتقارها إلى خالقها سبحانه وتعالى.

ـ أن هذه الخاصية تمنح الصياغة القرآنية لدليل الإحكام والإتقان سعة استدلالية تتجاوز بعض الصيغ المعاصرة لحجج التصميم، إذ لا يرتبط بقاء الدليل بجهل الإنسان بتفسير الظاهرة، ولا يتوقف على سدّ فجوة معرفية، بل يمكن أن يستوعب التفسيرات الطبيعية للظواهر مع إبقاء دلالتها على الخالق سبحانه، إذا نُظر إلى الأسباب والمسببات جميعًا في إطار افتقارها إلى الله تعالى.

6. قائمة المراجع

1. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي، سنة 1417هـ ـ 1997م، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1.
2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي البغدادي، 1423هـ ـ 2002م، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ودار ابن حزم، بيروت، ط1.
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، 1412هـ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط2.
4. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، 1411هـ ـ 1991م، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، 1430هـ، شرح العقيدة الأصبهانية، تحقيق محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1.
6. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، 1425هـ ـ 2004م، مجموع فتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
7. ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، 1439هـ ـ 2018م، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط1.
8. ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، 1436هـ ـ 2015م، النور المبين في قواعد عقائد الدين، تحقيق نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس، ط1.
9. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، 1422هـ ـ 2001م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
10. ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي، 1421هـ ـ 2000م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق مصطفى السيد وآخرين، مؤسسة قرطبة، جيزة، ط1.
11. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، د.س، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي

الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة.

12. أبو السعود، ابن محمد العمادي الحنفي، د.س، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، القاهرة، طبعة بطلب من مكتبة الرياض الحديثة.

13. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، 1413هـ ـ 1993م، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

14. أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود السمرقندي الحنفي، 1425هـ ـ 2004م، تأويلات أهل السنة، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

15. أحمد شوقي إبراهيم علي عبد الله، 2024م، التيار الربوبي وموقفه من التدبير الإلهي: دراسة نقدية، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر، مج1، ع1، 1338ـ 1427.

16. الباقلاني، محمد بن الطيب، 1957م، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، عني بتصحيحه الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت.

17. البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، 1412هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق محمد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، ط1.

18. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، د.س، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط.

19. البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، 1421هـ ـ 2000م، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد صبحي حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، دمشق وبيروت، ط1.

20. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، النيسابوري، 1436هـ ـ 2015م، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراجه صلاح باعثمان وآخرون، دار التفسير، جدة، ط1.

21. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، 1425هـ ـ 2004م، لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

22. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، 1401هـ ـ 1981م، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1.

23. سامي العامري، 1445هـ ـ 2024م، براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، نشر رواسخ، الكويت، ط1.

24. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، 1413هـ ـ 1993م، بحر العلوم، تحقيق علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

25. السمعاني، منصور بن محمد المروزي، 1418هـ ـ 1997م، تفسير القرآن، تحقيق غنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط1.

26. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، 1424هـ ـ 2003م، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية القاهرة، ط1.

27. الطبري، محمد بن جرير، 1422هـ ـ 2001م، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جيزة، ط1.

28. عبد الرزاق الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، 1410هـ ـ 1989م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق مصطفى مسلم محمد، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط1.

29. الفرهاري، عبد العزيز بن أحمد القرشي، 1433هـ ـ 2012م، النبراس شرح شرح العقائد، اعتنى به أوقان قدير يلماز، مكتبة ياسين، إسطنبول تركيا، ط1.

30. القاري، علي بن سلطان بن محمد، 1419هـ ـ 1998م، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، تحقيق وهبي سليمان غاوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1.

31. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، 1427هـ ـ 2006م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

32. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، د.س، النكت والعيون، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.

33. محمد الأمين الشنقيطي، د.س، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن

عبد الله أبي زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، د. ط.

34. معين الدين الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الشيرازي، 1424هـ ـ 2004م، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

35. مقاتل بن سليمان، 1423هـ ـ 2002م، تفسير مقاتل بن سليمان، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1.

36. مكي بن أبي طالب، 1429هـ ـ 2008م، الهداية إلى بلوغ النهاية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط1.

37. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، 1419هـ ـ 1998م مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1.

38. يحي بن سلام، 1425هـ ـ 2004م، تفسير يحي بن سلام، تحقيق هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

39. Ben Stein, 2008, Expelled: No Intelligence Allowed, Directed by Nathan Frankowski (Los Angeles: Premise Media).

40. John Hawthorne and Yoaav Isaacs, 2018, "Fine-tuning Fine-tuning," in Knowledge, Belief, and God: New Insights in Religious Epistemology, ed. Matthew A. Benton, John Hawthorne, and Dani Rabinowitz (Oxford: Oxford University Press), 136-168.

41. Malik, S., Karamali, H. & Khalayleh, M., (2022) "DOES CRITICIZING INTELLIGENT DESIGN (ID) UNDERMINE DESIGN DISCOURSE IN THE QURʾĀN? A KALĀMIC RESPONSE", Zygon: Journal of Religion and Science 57(2), 490-513.

42. Martin Rees, 2000, Just Six Numbers: The Deep Forces That Shape the Universe (New York: Basic Books).

43. Michael J. Behe, 2021, "The Argument from Biological Complexity," in Contemporary Arguments in Natural Theology, ed. Colin Ruloff and Peter Horban (London: Bloomsbury Academic), 89-108.

44. Michael Rota, 2021, "The Fine-Tuning Argument," in Contemporary Arguments in Natural Theology, ed. Colin Ruloff and Peter Horban (London: Bloomsbury Academic), 69-88.

Stephen Meyer, 2021, "The Argument from Biological Information," in Contemporary Arguments in Natural Theology, ed. Colin Ruloff and Peter Horban (London: Bloomsbury Academic), 109-128.